

للقرآن اثنين وثلاثين اسماً^(١) وجعل الفيروز
آبادي للقرآن مائة اسم.^(٢)

وأشهر أسماء القرآن أربعة:

الذكر: لأن الله ذكر به عباده. وعرفهم
فيه فرائضه وحدوده... قال الله تعالى:

"وهذا ذكر مبارك أنزلناه".^(٣)

الفرقان: لأنه فرق بين الحق
والباطل... "تبارك الذي نزل الفرقان على
عبده ليكون للعالمين نذيراً".^(٤)

الكتاب: لأن الله تعالى كتب أحكامه
وتكاليفه على عباده، أي أوجبها عليهم قال
الله تعالى: "وهذا كتاب أنزلناه مبارك".^(٥)
والقرآن: أي البيان ومنه... "فإذا قرأناه
فاتبع قرآنه"^(٦) أي بيناه، لأن فيه بيانا
للناس فيما يحتاجون إليه في أمور دينهم.

والسورة معناها: الابانة بأن الكلام
مفصول عما قبله، وسميت في القرآن سورة،
لشرفها وارتفاع قدرها، تماماً كما يقال لما
ارتفع من الأرض سور، أو لأنه يبني قطعة

قطعة، ويقال أيضاً للدرجة الرفيعة من المجد
والملك سورة، كقول النابغة الذبياني للنعمان
بن المنذر:

ألم تر أن الله أعطاك سورة

ترى كل ملك دونها يتذبذب
والآية: جماعة الحروف وهو من قولهم،
خرج القوم بآيتهم أي بجماعتهم... أو بمعنى
العلامة، لأن الآية علامة للفصل بين ما
قبلها وما بعدها، ومنه قول الله تعالى: "إن
آية ملكه أن ياتيكم التابوت فيه سكينه
من ربكم".^(٧)

والحكمة في تقطيع القرآن سوراً،
والسور آيات معدودات ان تكون كل سورة
وكل آية وحدة مستقلة. وكياناً أصيلاً وقرآناً
معتبراً وفي تحديد السورة تأكيد لكونها
معجزة وآية من آيات الله جل ثناؤه.

ومن السور ما يطول حتى يبلغ ٢٨٦
آية كسورة البقرة. ومنها ما يقصر حتى لا
يزيد على ثلاث آيات كسورة الكوثر ليدل
على أن الطول ليس شرط الإعجاز، كما أن

١- مفاتيح الغيب: ١٦١/١-١٦٣.

٣- الأنبياء: ٥٠.

٥- الأنعام: ٩٢.

٧- البقرة: ٢٤٨.

٢- البصائر، ٨٨/١.

٤- الفرقان: ١.

٦- القيامة: ١٨.

والقلم والمزمل والمدثر).

أما السور التي نزلت بالمدينة فعددتها ثمان وعشرون سورة. وأول ما نزل بالمدينة: (البقرة والأنفال وآل عمران والاحزاب والمتحنة) أما الفاتحة فاختلّفوا فيها: ف قيل مكية وقيل مدينة. وبذلك يكون مجموع عدد سور القرآن ١١٤ سورة.

وعدد آيات القرآن ٦٢٣٦ آية. عدد كلمات القرآن ٧٧٤٣٩ كلمة وعدد حروف القرآن ٣٢٣.١٥ حرفاً.^(٢)

القرآن المهجّز

القرآن الكريم هو المعجزة الباقية الخالدة، التي نصبها رب العزة تبارك وجل في علاه، شاهداً حياً ناطقاً بصدق الرسول العظيم عليه الصلاة والسلام. ولقد تحدّى الله بها العالم كله انسا وجنا، فما ثبتوا لهذا التحدي، بل أظهرها عجزاً صارخاً،

القصر لا يخرج السورة عن الإعجاز، بل إن سورة الكوثر رغم قصرها معجزة إعجاز سورة البقرة على طولها يقول الزمخشري: "إن الفائدة في تقطيع القرآن سوراً وآيات أن القارئ إذا ختم السورة وانتهى من آياتها كان ذلك أنشط له وأبعث على الجهد والتحصيل منه لو استمرّ على الكتاب بطوله... كما أن الحافظ إذا حذق السورة اعتقد أنه أخذ من كتاب الله طائفة مستقلة فيعظم عنده ما حفظه"^(١)

والذي انعقد عليه اجماع الأمة، واتفق عليه المسلمون كافة أن عدد سور القرآن مائة وأربع عشرة سورة وهي التي جمعها عثمان بن عفان رضي الله عنه. وكتب بها المصاحف. وبعث بكل مصحف إلى مدينة من مدن الإسلام. ولا التفات إلى الرأي القائل بأن الأنفال وبراءة سورة واحدة. أو من جعل المعوذتين سورة واحدة.

وعدد السور التي نزلت بمكة خمس وثمانون سورة. وأول السور المكية (العلق

٢- القرطبي، ١/٥٦-٦٧.

١- البرهان للزركشي، ١/٢٦٥.

سيد الخلق وأشرف الرسل محمد بن عبد الله
صلوات الله عليه، فبلغه الناس، وأذاع
أخلاقه ومثالياته في كل مكان، وبذلك
نشرت صفحات جديدة مشرقة ناضرة في
تاريخ الإنسانية، وكان لها من وراء ذلك
ميلاد حضارة جديدة.

إنه ألفاظ إذا اشتدت فأمواج البحار
الزاهرة، وإذا هي لانت فأنفاس الحياة
الآخرة، تذكر الدنيا فمناها عمادها ونظامها،
وتصف الآخرة فمناها جنتها وضرامها، ومتى
وعدت من كرم الله جعلت الشفور تضحك
في وجه الغيوب، وإن أوعدت بعذاب الله
جعلت الألسنة ترعد من حمى القلوب.

ومعاني بينا هي عذوبة ترويك من ماء
البيان، ورقة تستروح منها نسيم الجنان،
ونور تبصر به مرآة الإيمان وجه الأمان، بينا
هي تمثل للمذنب حقيقة الإنسانية حتى يظن
أنه صنف آخر من الإنسان، إذ هي بعد ذلك
أطباق السحاب انهارت قواعده والتمعت ناره
وقصفت في الجو رواعده، وإذ هي الرادفة،
وأما هي زجرة واحدة، فإذا الخلق طعام الفناء
وإذا الأرض مائدة... (٢)

وعياً بليدا وفهاهة فاضحة... ولقد سجّل الله
عليهم نكوصهم عن مجارة القرآن ومسايرته
في آفاقه العالية حيث قال الله تعالى: "قل
لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل
هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم
لبعض ظهيراً". (١)

ومعاني القرآن على الرغم أنه نزل
منجماً إلا أنه تلاقت مقدماتها بنتائجها
ومهدت أولها لأخرها. ولن تجد في معاني
القرآن ما تجده في غيره من كلام البشر من
المعاني الساقطة أو التافهة، بل كل معانيه
سامية قوية. آيات وسور اشتملت على أمور
الدين والدنيا، وانتظمت سعادة الأولى
والآخرة، ونزلت هدى ونوراً للبشرية كلها،
فقضت على الأوهام الباطلة، والأساطير
الكاذبة، والعبادات الضالة، والأديان
المنحرفة، ونقلت الإنسانية الحائرة من عصر
تسوده الفوضى وتذيع فيه مبادئ الطغيان
والعبودية، إلى حياة فيها رضى وأمن
وسلام.

إن هذا القرآن قبس من الهدى والنور
نزل به جبريل من السماء إلى الأرض على

صلى الله عليه وسلم وكما سخر الله لداود الطير المحشورة، سخر لمحمد البراق يطير في السماء. وكما جعل من معجزات عيسى عليه السلام إبراء الأكمه والأبرص... فقد جعل شبيهاً بذلك لمحمد صلى الله عليه وسلم فقد سقطت حدقة رجل في غزوة أحد فرفعها الرسول وردها إلى مكانها. وانتقادات الجن لسليمان، وانتقادات كذلك للرسول صلى الله عليه وسلم. ومعجزات النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من أن تحصى ويمكن أن نضيف إلى مذكراته حنين الجذع وانتقياد الأغصان، وجعل قليل الطعام كثيراً كل ذلك على مشهد من الناس ومسمع فلم ينكر أحد شيئاً مما رآه أو سمعه رغم أن ذلك ليس في طاقة البشر أو مقدرتهم.^(١)

وأفضل معجزات الرسول وأجلها شأنها هي معجزة القرآن الذي نزل بأفصح اللغات وأبلغها. فقد سحر القرآن العرب منذ أن استمعوا إليه في اللحظة الأولى، سواء من شرح الله صدره للإسلام وأنار بصيرته أو من طبع الله على قلبه وجعل على بصره غشاوة... فالوليد بن المغيرة قال يصف

ولقد كانت للرسول العظيم عليه الصلاة والسلام معجزات كثيرة تدل على صدقه، وأنه مرسل من قبل الله تعالى. فالمعجزة مختصة بالنبي دائماً، وتقترب بالتحدي، ومن ثم لا يمكن تحصيلها بالجهد أو الاكتساب.

وكذلك للأنبياء معجزات ظهرت على أيدي كثير منهم، بيد أن معجزات النبي محمد صلى الله عليه وسلم تفوق معجزات غيره سواء من حيث العدد أو من حيث الأهمية.

فإذا كان الله قد أظهر معجزة لموسى هي أن يضرب البحر فانفلق فكذلك أظهر لمحمد عليه الصلاة والسلام فانشق له القمر في السماء.

وكما ظلل على موسى عليه السلام بالغمام فقد ظلل محمداً صلى الله عليه وسلم كذلك بالغمام. وكما جعل من معجزات موسى عليه السلام اليد البيضاء فقد جعل من معجزات محمد صلى الله عليه وسلم القرآن. وكما سبّحت الجبال مع داود عليه السلام فقد سبّحت الأحجار في يد الرسول

١- مفاتيح الغيب للرازي، ١٢٥/٣-١٢٦.

القرآن: والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو ولا يعلو عليه".

والقساوسة والرهبان يحكى عنهم القرآن: "وإذا سمعوا ما أنزل على الرسول تولى أعينهم تغييض من الدمع مما عرفوا من الحق".^(١)

فالقرآن من شأنه إذا استمع إليه إنسان أن تتحرك مشاعره، ويهتز قلبه ويقشعر بدنه خوفاً ويعتصر فؤاده رجاء لما فيه من جمال في الأسلوب وقوة في التعبير. ولقد وصف الله كتابه عزمن قائل: "الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله".^(٢)

فروعة القرآن يحسها القلب الخاشع، ولكن العرب كما وصفهم القرآن: "قوم خصمون".^(٣) وأعداء ألداء "وتنذر به قوماً لداً".^(٤) فأخذوا يتناولون القرآن بالتشكيك، ويشنون عليه حملات شعواء، بغية التهوين من شأنه، والغض من قدره.

ولكن الله رد كيد الكافرين في نحورهم، فتحدى الرسول بلغاء العرب وفصحاءهم أن يأتوا بسورة من مثله، ولكنهم عجزوا وأعرضوا عن معارضته، فكان ذلك داعياً إلى الاعتراف بإعجاز القرآن، وقصورهم أمام بلاغته.

والقرآن ليس معجزاً للعرب وحدهم، وإنما هو معجز للعربي وغير العربي، لأن دعوة الإسلام دعوة عالمية ليست مرتبطة بلغة معينة، ولا بوطن خاص، وإنما هي دعوة تحتوى العالم بأسره، ومن أجل ذلك كان القرآن معجزاً لكل الأمم.

وحجة القرآن على العرب الفصحاء كحجته على غير العرب من الأعاجم كما أن حجة موسى عليه السلام في قلب العصا حجة كانت لأمهر السحرة وحجة عيسى عليه السلام في إحياء الموتى لم تكن لأعظم الأطباء وحدهم، وإنما كانت للطبيب الماهر والخامل، وغير الطبيب على السواء، وإذا عجز أمهر السحرة وأعظم الأطباء عن الاتيان بمثل ما أتى به موسى وعيسى

٢- الزمر : ٢٣

٤- مريم : ٩٧

١- المائدة : ٨٣

٣- الزخرف : ٥٨

يتعلق بالفؤاد من المعلومات العقلية والقلبية. (٢)

فالترتيب الذي ورد في الآية القرآنية تلمح من خلاله أن اللفظ المقدم أهم من ألفاظ التي ترد بعد ذلك، وهذا هو التعبير القرآني الدقيق، فإذا جاء هذا التعبير على وفق ما قرره العلم، كان التزواج بين أسلوب القرآن في بلاغته وفصاحته، وأسلوب العلم في اكتشافه وتقديره... فالأعجمي حين يرى هذا التماثل والانسجام بين التعبير القرآني والاكتشاف العلمي يتحقق من اعجاز القرآن في بلاغته.

على أن علماء النحو قد يكون لهم توجيه خاص في نظم الآية وأمثالها، فيقولون مثلاً إنَّ وار العطف تأتي لطلق الجمع، بمعنى أنه يجوز في الآية أن تقدم السمع على البصر وتؤخره دون أن يختل المعنى، غير أنه أصبح من الواضح هنا أن الترتيب فيه نوع من الالتزام، نظراً لأهمية المتقدم عما جاء بعده. ونلمح مثل هذا التوافق العجيب بين التعبير القرآني والتقارير العلمي حين يذكر

عليهما السلام كان ذلك أدعى إلى عجز غيرهم.

كذلك الشأن في معجزة القرآن، أتى به محمد صلى الله عليه وسلم لأفصح الناس وأقدرهم على نظم الكلام العربي، ورغم حرصهم على تكذيب الرسول، وإفساد دعوته، لم يفلحوا في مجاراته، ولم يستطيعوا تكذيبه.

وإذا كان العرب الفصحاء عاجزين عن مجارة أسلوب القرآن في فصاحته وبلاغته، وغيرهم من الأعاجم أعجز.

ترى مثله القرآن في تعبيره ليسلك المسلك الخاص بالترتيب البديع حين يقول: "إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا". (١)

فيقدم السمع أولاً ويشئ بالأبصار، وينتهي بالفؤاد، والحقائق العلمية تثبت أن حاسة السمع تؤدي مهمتها أولاً منذ اللحظة الأولى من ولادة الإنسان. وحاسة الأبصار تؤدي وظيفتها خلال عشرة أيام، فالبصر يؤدي مهمته ثانياً، ثم يأتي بعد ذلك ما

القرآن السمع مفردا، والبصر جمعا في آياته مثل قول الله تعالى: "وجعل لكم السمع والأبصار".^(١) وقوله "وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم".^(٢) لأن الصوت لا مفر لك من سماعه مادمت لا تستعين بشيء خارجي يمنعك من السماع كوضع شيء في الأذن، بخلاف الصورة فيمكنك أن تراها فتدع عينك مفتوحة، ويمكنك ألا تراها فتغلق عينيك دون أن تستعين على عدم الرؤية بشيء من الخارج كما في حالة الامتناع عن السمع، فالأبصار متعددة حيث يراه بعض الناس، ويغضض الآخرون عيونهم عنه فلا يرونه، وحيث أنك ترى حين تريد، أو حين لا تريد، أما السمع فواحد حيث لا يمكنك إلا أن تسمع أنت ويسمع الآخرون جميعا إذا انفجر صوت فالسمع واحد والأبصار متعددة.^(٣)

وإذا كان هذا هو الشيء المسلم به والمقبول، كان تعبير القرآن بالافراد عن السمع، وبالجمع عن البصر موافقا لما نعرفه ونسلم به... وبهذا يتحقق الاعجاز القرآني

للعربي وغير العربي على السواء.

ومن خصائص الأسلوب القرآني الفذ:

أنه يجمع بين الجزالة والسلاسة، والقوة والعذوبة، وحرارة الإيمان، وتدفق البلاغة، فهو السحر والنور الباهر والحق الساطع والصدق المبين... ولما سمعته فصحاؤهم وبلغاؤهم وأرباب البيان فيهم سجدوا لله خاشعين. وما إيمان عمر رضي الله عنه حين سمع "سمع طه"، وما فزع "عتبه" حين سمع "فصلت"، وما تردد بلفاء العرب على الأماكن التي يتعبد فيها النبي الأمين صلى الله عليه وسلم ليلاً ليسمعوا هذه البلاغة خفية، وما عجزهم بعد التحدي إلا دليل الإعجاز وعظمة البيان وجلال الأسلوب. ومن هذا المنطلق العجيب كان القرآن الكريم وحده هو كتاب الهداية، ولغة الحياة وقصة الكون الصادقة من بدايته إلى نهايته، بل هو تجديد لميلاد الإنسان على اختلاف الحقب وتوالي الأجيال، ومرور الدهور والعصور، نزل لمخاطبة النفس البشرية والأخذ بيدها، فهو معها أمرا وناهيا، مرشداً وواعظاً، مبشراً ومنذراً، حارساً ومدافعاً، مصبراً

ومسلياً، معلماً وموجهاً، سميماً وجليلاً، صديقاً وأنيساً، فهو الحياة في سموها، والسعادة في أوجها، والكمال في أسمى معانيه، فلقد بلغ الغاية التي لا تدانيها غاية في الرفعة والعلو، والخلود والسمو، فما أبدع تراكيبه وأورع أساليبه، وأسمى معانيه.

الله اكبر إن دين محمد

وكتابه أهدى وأقوم قيلاً

لا تذكروا الكتب السوالف قبله

طلع الصباح فأطفىء القنديلاً.

ولو ذهبنا نستقصى وجوه الإعجاز للقرآن الخالد، ونستعرض صفحات جلاله، لأعيانا الأمر، وانقطعت نفوسنا من شدة البهر، لأنه الكتاب الذي لا تنفذ عجائبه، ولا تنتهي غرائبه، ولا يخلق على كثرة الرد. وإن ما نذكره الآن من وجوه خلوده وأعجازه، لهو قل من كثر، ووشل من فيض وقطرة من بحر، فمن هذه الوجوه:

١- قوة أسلوبه في كل ما تناول: فهو قوى في التعبير عن الأحكام، والأحكام

والرؤىيات كقوته في القصص وغيره. ٢- اشتماله على قصص وأخبار الأمم الماضية، وموقف كل أمة من نبيها كل هذا ليسوقه القرآن في دقة بالغة، حتى كأننا نعيش في نفس الحوادث التي يعرضها، والذي بلغنا كل هذا إنما هو رجل امي لا يعرف القراءة أو الكتابة.

٣- اشتماله على نظام في الأخذ به سعادة الأمم وفي البعد عنه تعاستها وشقاؤها "إن هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم".^(١)

٤- سمو الروح، ونبل الهدف في القرآن: فهو ليس كتاب قصص أو تسلية، أو أدب أو حكمة أو فلسفة أو تاريخ أو اجتماع وإنما هو منهج متكامل للحياة الصحيحة في كل جوانبها.

٥- خلوده على مرّ الأيام، والعصور والأمكنة، مع عجز الناس عن معارضته، رغم أنه محدّد ولا يزال... وتاريخ العالم مشتمل على الأفاذ من الأدباء والبلغاء.

٦- وأخيراً وليس آخراً: ما جاء في القرآن من إعجاز علمي مبدع، جعل العلماء

يخشعون لجلال هذا الكتاب وسبقه في هذه
الميادين... ومن هذا اللون العلمي قول الله
تعالى: "وأرسلنا الرياح لواقح" ^(١) "والأرض
بعد ذلك دحاها" ^(٢)... "يخلقكم في بطون
أمهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات
ثلاث" ^(٣).

هذا هو القرآن في سموه وجلاله، وسحره
وجماله وخلوده وكماله، ولقد وقفت
الإنسانية صاغرة أمامه، على الرغم مما يزخر
به تاريخها من عباقرة وأساطين في الفكر
والأدب والاجتماع، وما يحفل به من نوابع
لسن وخطباء مصاقع... وصدق الله تعالى:
"ويستلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي
وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً" ^(٤)

إذا قلنا إن القرآن الكريم معجزة،
فنقول: اين هي المعجزة في هذا الكلام؟
وماذا يبدو للناس منها؟ وماذا يشهدون من
إعجازها؟ وكيف يضع الناس أيديهم على
المعجزة؟ ويرفعون أبصارهم اليها؟

إنها معجزة لا ترى بالعين، ولا تلمس
باليد! وعلى الناس أن يسمعو لهذا الكلام،

وأن يتدبروا آياته. وعندئذ يرون
ببصائرهم-لا بأبصارهم-في كل آية معجزة
قاهرة... تعنو لها الجباه، وتخضع لها الرقاب.
إن على الناس أنفسهم... أن يفتحوا
قلوبهم وعقولهم لهذه الكلمات-فإنهم إن
فعلوا تكشف لهم منها ما كان يتكشف من
عصا موسى عليه السلام وبده، ومن كلمة
عيسى عليه السلام... وهذا مفهوم قول النبي
صلى الله عليه وسلم: "وإنما كان هذا الذي
أوتيته وحياً أوحى إلى". ^(٥)

إنها آيات... معجزات... وما يعقلها،
ويعرف وجه الإعجاز فيها إلا العالمون الذين
يلقون أسماعهم لها، ويفتحون قلوبهم
وعقولهم للحق الذي فيها، وللنور الذي
معه.

ومن ثم كانت أنظار المسلمين دائماً
معلقة بهذا الكتاب، يدرسونه، ويتدارسونه،
ويلقونه بكل ما تسعفهم به الحياة من علوم
ومعارف، فيجدون كل شيء دون ما في
كتاب الله من علوم ومعارف، فيزداد لذلك
تعلقهم لكتاب الله، وتتوثق صلتهم به،

٢- النزعات : ٣٠.

٤- الاسراء : ٨٥.

١- الحجر : ٢٢.

٣- الزمر : ٦.

٥- الجامع الصحيح للبخاري (فتح الباري، ٣/٩، ٧٤٤/٢).

مراحل التحدي

فقد ثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم تحدى العرب بالقرآن على مراحل ثلاث:

أ- تحداهم بالقرآن كله في أسلوب عام يتناولهم ويتناول غيرهم من الإنس والجن تحدياً يظهر على طاقتهم مجتمعين، بقول الله تعالى: "قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً".^(١)

قال القرطبي: "نزلت حين قال الكفار: لو نشاء لقلنا مثل هذا، فأكذبهم الله تعالى".^(٢)

يقول صاحب فتح القدير شرحاً لهذه الآية: "احتج سبحانه وتعالى على المشركين بأعجاز القرآن".^(٣)

ب- ثم تحداهم بعشر سور منه في قول الله تعالى: "أم يقولون افتراء، قل فاتوا بعشر سور مثله مغتربات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين، فإن لم

ويشتد إقبالهم عليه، ومدارستهم له. وفي كل يوم من أيام المسلمين تظهر دراسات وبحوث في القرآن وعلومه، حتى لقد اجتمع من ذلك ما لا يحصى عدا.

ولقد كان نصيب "الإعجاز" في مباحث القرآن نصيباً موفوراً، وقد أفرده بعضهم بدراسة خاصة، كما فصل عبد القاهر الجرجاني والرماني والخطابي والباقلاني، إلا أن أكثر مباحث الإعجاز هي التي كانت تجيء ضمن مباحث التفسير أو القراءات. فمعظم المفسرين حاولوا أن يجعلوا في صدور تفسيراتهم إشارات تتضمن آراءهم في فضل القرآن وفي إعجازه.

ولعل "الزمخشري" أشهر هؤلاء المفسرين وأولاهم بالذكر في هذا المقام إذ كان تفسيره "الكشاف" يبحث عن مناهج الإعجاز في كتاب الله... في آياته، آية آية، وفي كلماته، كلمة، كلمة.

١- الإسراء: ٨٨.

٢- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ٣٢٧/١٠.

٣- فتح القدير للشوكاني، ٢٥٧/٣.

يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله".^(١)

قال القرطبي في شأن هذه الآية: "فإن قالوا: افتريته-أي اختلقته فليأتوا بمثله مفترى بزعمهم".^(٢)

قال السيد قطب رحمه الله: "وقد قالوا إن هذا القرآن مفترى، فتحداهم إذن أن تفتروا عشر سور كسوره، وليستعينوا بمن يشاءون في هذا الافتراء"^(٣) بالإتيان بعشر سور من مثل القرآن فعجزوا وقامت عليهم الحجة وثبت أن القرآن كلام الله ووحيه".^(٤)

ج- ثم تحداهم بسورة واحدة: منه قول الله تعالى: "وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله"^(٥)

يقول ابن كثير شرحاً لهذه الآية الكريمة: "فاتوا بسورة من مثل ما جاء به، إن زعمتم أنه من عند غير الله".^(٦)

قال القرطبي: "قال ابن كيسان، وهو أمرٌ معناه التعجيز، لأنه تعالى علم عجزهم عنه".^(٧)

يقول السيد قطب: "أما التحدي فمنظور فيه إلى مطلع السورة.... فهذا الكتاب المنزل مصوغ من تلك الحروف التي في أيديهم، فإن كانوا يرتابون في تنزيله، فدونهم فليأتوا بسورة من مثله، وليدعوا من يشهد لهم بهذا-من دون الله-فإن الله قد شهد لعبده بالصدق في دعواه، وهذا التحدي ظل قائماً في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم-وبعدها- وما يزال قائماً إلى يومنا هذا وهو حجة لا سبيل إلى المماحكة فيها... وما يزال القرآن يتميز من كل كلام يقوله البشر تميزاً واضحاً قاطعاً، وسيظل كذلك أبداً".^(٨)

وهكذا عجز العرب عن معارضة القرآن

١- هود: ١٣-١٤.

٢- الجامع لأحكام القرآن، ١٢/٩.

٣- في ظلال القرآن، ١٨٦١/١٢.

٤- أيسر التفاسير، ٣٢٧/٢ وانظر مختصر ابن كثير، ٢١٤/٢.

٥- البقرة: ٢٣.

٦- مختصر ابن كثير للصابري، ٤١/١.

٧- الجامع لأحكام القرآن، ٢٣٢/١ وانظر أيضاً ٦٩/١ (القرطبي) في موضوع ١٠٠ اعجاز القرآن.

٨- في ظلال القرآن، ٤٨/١.

العليا التي ينطوي عليها سرّ هذا الوجود في
خالقه ومدبره، وهو ما أجمله القرآن أو أشار
إليه-فصار القرآن بهذا معجزاً للإنسانية
كافة.
هذا وبالله التوفيق. وصلى الله على
النبي وآله وسلّم.

مع توفر الدواعي عجز للغة العربية في
ربعان شبابها وعنفوان قوتها.
والإعجاز لسائر الأمم على مرّ العصور
ظلّ ولا يزال في موقف التحدي شامخ
الأنف، فأسرار الكون التي يكشف عنها
العلم الحديث ما هي إلا مظاهر للحقائق

المصادر والمراجع

- (١) إعجاز القرآن الرافعي - الرافعي - مصر - ١٢٩٧هـ.
- (٢) أيسر التفاسير - ابو بكر الجزائري - السعودية - ١٤٠٧هـ.
- (٣) البرهان في علوم القرآن - الزركشي - دار احياء الكتب العربية - ١٣٨٦هـ.
- (٤) تفسير غريب القرآن - ابن قتيبة - مصر - ١٣٧٨هـ.
- (٥) الجامع الصحيح - الامام البخاري - كراتشي - ١٣٨١هـ.
- (٦) الجامع لأحكام القرآن - القرطبي - دار احياء بيروت - ١٩٦٦م.
- (٧) فتح الباري - ابن حجر - بيروت.
- (٨) فتح القدير - الشوكاني - دار الفكر بيروت - ١٩٧٣م.
- (٩) في ظلال القرآن - سيد قطب - دار الشروق القاهرة - ١٩٧٩م.
- (١٠) القضاء والقدر - متولي الشعراوي - دار الشروق القاهرة.
- (١١) مباحث في علوم القرآن - مناع القطان - منشورات العصر الحديث.
- (١٢) مختصر ابن كثير - محمد علي الصابوني - بيروت - ١٩٨١م.